JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ
العدد الثالث والعشرون
(١٧٥)- (١٨٩)

صور الطبيعة في شعر حامد البصري

م.د. منى قاسم مـــــعارج
جامعة واسط / كلية التربـــية
قسم علوم قرآن والتربية الاسلامية
munaqassim400@gmail.com

المستخلص:

تُعدُ الطبيعة – بكل ما تحتويه من الأسرار الكونية العظيمة – منهلاً عذباً، استقى منه الشعراء عِبر العصور الأدبية، فلم يدعوا شيئاً فيها إلاّ وصفوه، ولم يتركوا مظهراً من مظاهرها من غير أن يتحدثوا عنه باسهاب، وذلك أمر طبيعي لا غرابة فيه، ولاسيما إذا ما علمنا أن الطبيعة هي التي تشعل الروح الشاعرة، وتدفع بالينبوع الكائن في أعماق النفس إلى التفجير والتدفق والانطلاق.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة، الفاظ الطبيعة، أنسنة الطبيعة.

Images of nature in Hamid Al-Basri's poetry

M.D. Muna Qassim Maaraj
Wasit University / College of Education
Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education
munaqassim400@gmail.com

Abstract:

Nature - with all the great cosmic secrets it contains - is considered a sweet source from which poets have drawn throughout the literary ages. They did not claim anything in it without describing it, and they did not leave any of its manifestations without talking about it at length. This is a natural and unsurprising matter, especially if We learned that nature is what ignites the poetic soul, and pushes the spring located deep within the soul to explode, flow and release.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

Keywords: nature, nature words, humanization of nature.

المقدمة

إن "شعر الطبيعة" كمصطلح تعبير جديد في أدبنا، لكن "شعر الطبيعة" كظاهرة وغرض وفن، موجود في الشعر العربي من قديم، لكن الجديد الذي أدخله الغربيون هو المصطلح فقط؛ فـ"شعر الطبيعة" تعبير جديد أطلقه الغربيون على الشعر الذي كان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر، وقد وجد الشعراء في الطبيعة تربةً خصبةً لنمو العواطف الإنسانية، وواحة للنفوس المتعبة القلقة، وشعر الطبيعة في فجره عند العرب كان صورةً لما تراه العين، أكثر من كونه مشاركةً للعواطف التي توحي بها الطبيعة، وانفعالًا ذاتيًّا للشعور.

فالقصيدة العربية استطاعت أن تنقل معالم الأدب والفن في صورة جميلة ومثلت الأشياء والمفهومات المجردة أجمل تمثيل، واستطاعت التعبير بذلك الفن بوسائل لغوية وفنية تترجم المكون الشعري في لوحات تثير الخيال والذوق تم فيها استخدام المنهج الوصفي التحليلي في اظهار صور الطبيعة الحية.

وقد كان وصف الطبيعة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إذ وصف الشعراء صحراءهم وتفننوا في وصفها لكن هذا الوصف لم يتعد الجانب المادي، وفي العصر الأموي والعباسي عندما انتقل العرب المسلمون إلى البلدان المفتوحة وارتقت حياتهم الاجتماعية أضافت على وصف الطبيعة وصف المظاهر المدنيَّة والحضارة، فقد ظهر وصف الطبيعة عند الشعراء العباسيين أمثال النجدي والصنوبري وأبي تمام وأبي بكر النجدي الذي عاش في بيئة حلب

وفي ظلال العباسيين استطاع بعض فحول الشعر أن يضيفوا إلى الأوصاف المادية للطبيعة حسًّا وذوقًا؛ فائتلفوا معها –أي: مع الطبيعة– واستغرقوا في نشوة جمالها، وبادلوها عاطفةً بعاطفة وحبًّا بحب.

تنوع الطبيعة في شعر حامد البصري:

لم تكن الطبيعة عند شاعرنا شيئاً مطلوباً لذاته بحيث يُكْثر من وصفها والوقوف عندها بل أنها جاءت في ثنايا قصائده مختلطة مع الأغراض الشعرية وقد أتخذ منها وسيلة للبوح عمَّا في نفسهِ من الأفكار والمعاني والهموم التي اختزنت في أعماقها.

فلو اطلعنا على معجمه الشعري لوجدناه حافلاً بالكثير من مفردات الطبيعة سواء أكانت هذه الطبيعة ثابتة أم متحركة، إذ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر لهذه المفردات إلاّ في النادر منها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

ومن مفردات الطبيعة الثابتة في شعره (النخل، التمر، العذق، الندى، الصخور، التراب،السياج،القرى، المرفأ... الخ) إما مفردات الطبيعة المتحركة في قصائده (العصفور، الذئب، الكلب.... الخ).

ونراه هنا قد استعمل الطبيعة الصامتة الثابتة والمتحركة الحيَّة وغير الحيَّة موظفاً كلاً منها توظيفاً رائعاً.

وفي ضوء استعماله لهذه المفردات وتوظيفها في قصائده يمكن لنا تقسيم نظرته لها في أشعاره إلى قسمين رئيسين هما:

اولاً: الطبيعة وتوظيف الفاظها في شعره.

ثانياً: أنسنة الطبيعة.

و فيما يلي عرض لهذين القسمين:

أولاً : الطبيعة وتوظيف الفاظها في شعره:

لم يكن توظيف الفاظ الطبيعة حديث عهد في الشعر العربي الحديث بل إنه قديمٌ قِدم الشعر العربي نفسه، وشاعرنا احد الشعراء المحدثين الذينَ وظّفوا هذهِ الألفاظ في نصوص ليست قليلة في شعره، وإنَّ هذا التوظيف جاء في أغلب المضامين الشعرية لديه فهو يستثمر الفاظ الطبيعة ليبوح عمَّا في نفسه وماً يختلج بدواخلهِ من مشاعر واحاسيس، وأهم المضامين الذاتية التي وظف الفاظ الطبيعة فيها:

الغزل والحب:

إن توظيف ألفاظ الطبيعة في موضوعات الغزل والحب أمر شائع في الأدب العربي القديم والحديث، وقد ورد عند عدد من الشعراء الجاهليين كالنابغة الذبياني في قوله متغزلاً:

نظرتْ بمقلةِ شادنٍ مترقّبٍ

أحوى أصم المقلتينِ مُقلَّدِ

والنظم في سلك يزيّن نحرها

ذهبٌ تَوَقَّد كالشهاب الموقدِ(إبراهيم،١٩٧٧،ص٩١)

فقد شبه المرأة بالغزال ثم أضاف إليها الحلي في قوله (النظم في سلك) ليجعلها منعمة ذات دلال وترف إضافةً إلى حسنها وجمالها، وهو يستثمر ألفاظ الطبيعة المستوحاة من بيئته الصحراوية.

إما الأندلسيون فكثيراً ما تميزوا بهذا الأمر، ولعل الشاعر ابن زيدون مثال جيد في الشعر الأندلسي على هذا الأمر، ومن ذلك قصيدته القافيَّة التي مطلعها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

إنّي ذكرتُكِ بالزهراءِ مشتاقاً

والأفقُ طلقُ ومرأى الأرض قد راقا(ابن زيدون، ١٩٦٥،ص١٧١)

ففي هذه القصيدة يمزج بين مفاتن حبيبتهُ ومفاتن الطبيعة من خلال توظيفه لمظاهر الطبيعة الأندلسية الغنَّاء.

لقد كان "ابن زيدون" بهذه الخاصية الإبداعية رائدًا إلى الشعر الرومانسي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، والذي عرفته الآداب الأوربية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فابن زيدون بوصف الطبيعة من خلال نوازعه العاطفية وأشجان حبه الذاتية يمثل خطوة رائدة في أدب الطبيعة عند العرب، ويعد مظهرًا من أبرز مظاهر التجديد في شعر الطبيعة الأندلسي، بل يمكننا أن نعتبر ابن زيدون مصدرًا عربيًّا عريقًا للأدب العالمي في الاتجاه نحو الطبيعة، وتوظيفها في الفن الشعري بعامة والنسيب منه بخاصة، ولا نقول ذلك رجمًا بالغيب، أو تعصبًا لأبناء جلدتنا من العرب، أو حميةً لأبناء عقيدتنا من المسلمين، بل هو استنتاج ورأي نشفعه بالدليل، أليس تمثل الطبيعة والاندماج فيها وتقمصها تقمصًا وجدانيًّا في الشعر الغنائي، الذي رأينا أنموذجه عند "ابن زيدون" في القرن الحادي عشر الميلادي هو ما أراده النقد الأدبي الرومانسي في أوربا بعد ذلك في القرن التاسع عشر عند حديثه عن أثر الطبيعة ودورها الفاعل في الأدب والإبداع الفني؟

إما شاعرنا البصري فأنه قد وظَّف ألفاظ الطبيعة في غرض الغزل، وجعل من ألفاظها منفذاً ليبوح من خلالها عما في قلبه تجاه الناس المحيطينَ به ومنهم حبيبتهُ التي قال فيها قصيدة تفصح عن لسان حالها في حبَّه لها و هي بعنوان (تعالِ) التي يقول فيها:

فأنتَ بأرضِ الوجود

وردٌ

ونجمٌ

ورغم الغيوم ورغم العلل

تعيشُ وتبقى

وانتَ حبيبي(البصري،١٩٧٠، ص٣٦)

فهو يبين من خلال هذا المقطع من القصيدة بأنه مطلوبٌ من حبيبتهِ التي تدعوه إلى المجيء إليها لقضاء أحلى اللحظات بين عاشقين رغم الإحزان والكدر اللذين يملآن حياتها وقلبها الجريح من الأيام ولكنها مع ذلك عاشقة لحبيبها، وهي ترى به الدواء الشافي لآلامها وهمومها، وهو بهذا الأسلوب

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

الفني قد عكس الحال التي ينبغي ان يكون عليها، فبدلاً من ان يكون طالباً للمرأة صار مطلوباً ولعل هذا الأمر ناتج عن تأثره بتجربة الشاعر (عمر بن ابي ربيعة) من ناحية وعن إخفاقه في الحبَّ الذي مر به من ناحية ثانية، مما جعله يلجأ إلى التعويض عن هذا الإخفاق بأن جعل حبيبته هي التي تطلب منه المجيء اليها، وانه (بأرض الوجود) أي في قلبها وروحها، وقد استثمر لفظة (الأرض) لأنها موطن النبات ومنها يخرج كلَّ شيء حي، فأراد ان يكون الحبُّ باقياً نامياً على مدى الحياة، أما (الورد والنجم) فهما يحملان دلالة الرقة والجمال والعلو فقد أضافهما لنفسهِ على لسان حبيبتهِ ليجد له متنفساً من حالة الإخفاق التي يمر بها في هذا الحب، وهذه طريقة جميلة في البوح والتعبير عن المشاعر والأحاسيس.

ومن الفاظ الطبيعة التي وظفها الشاعر لهذا الغرض هو قوله في قصيدته (ن و القلم)، وقد اعتمد على المحاورةً بينه وبين حبيبته بأسلوب تقريري لها:

تقولين: أنتَ قناديل زاوية البيت تلمع
مُدَّي له الزيت (... ...) اني
براعمٌ مما زرعت
وكلُّ المسالك تخضرُّ
حتى الرمال نوقّع فيها
تصيرُ قرانا الجميلة
أنهارَ شوق
ينابيعُ فيها بروق السنابل(البصري،١٩٨١، ص٣٤-٣٥)

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر يصف حبيبتَهُ بالضياء الذي يضيء لها كيانها بحبهِ ومشاعره، إنه يسكن القلب فيضفي عليه النور فإذا كانت القناديل تُنير ظلمة البيت وعتمتهِ فإنَّ حبَّهُ يضيء لها العتمةُ التي بداخلها، اما هو فلا يجد إلا أن يبوحَ لها بقولهِ: (إني براعمٌ مما زرعتِ) فما هو إلا بعض زرعها لو أمدته بالحب والحنين الذي عبَّر عنه بالزيت، فالحبُ ينمو ويزدهر باللقاء والمواصلة والعطاء مثل السراج الذي يواصل ضياءه بالزيت.

نلاحظ أن الشاعر أشارة إلى الألفاظ الموحية التي جسدتها عاطفتهِ الصادرة من قلبهِ؛ لأن ((اللغة.. شحنات عاطفية تصدر عن قلبه وخياله قبل صدورها عن عقله))(الاهواني،١٩٨٦، ص١٢٠)، لذلك نرى الشاعر يعمدُ إلى الخيال ليعبّر عما في نفسه لها ف (الرمال) وما توحي به من هشاشةِ وضعف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

و ما تحمل من اليبس لعدم بقاء الماء فيها فترة كافية لنمو الزرع، فأنها ستصبح قرى جميلة اذا وقِّعا عليها مواثيق حبهما، وفي هذا دلالة على أن الشاعر يبثُّ شكواه وهمومه الخاصة فحياته كالأرض اليابسة الجافة تحتاج إلى الحبَّ لكي تخضرُ وتصبح رمزاً للعطاء والحب.

هنا الشاعر يوظف الألفاظ بطريقة إيحائية جميلة، فالزيت يوحي بالحبِ والرمال توحي بالحياة او تحمل بين طياتها الحياة إذا صادفت ما يحييها ويبث الحياة فيها.

إن الشاعر من اجل إبراز فكرته في الحب اعتمد على الطبيعة بشكل واضح وكبير، ولعل تأثره بطبيعة ابي الخصيب الزراعية الجميلة هي التي جعلته يركز على الطبيعة بترابها وزيتها وسنابلها. وفي هذا دلالة قدرته على صوغ المعاني الجميلة والمعبرة وقدرة خيالهِ على تحقيق أشياء لا يمكن لها إن تتحقق لولا عنصر الخيال. فإذا كانت الرمال غير صالحة لبناء بيت صغير فوقها فأن الشاعر أراد ان يجعل منها قرى جميلة يسكنها الحبُّ والشوق.

مكابداته:

من اجل إبراز معاناته والبوح بها قام الشاعر بتوظيف ألفاظ الطبيعة ، فكشف لنا بشفافية ورِّقة ما عاناه من تقلب الأيام ودورات الزمان عليه، ومن ذلك قوله في قصيدته (تحية مع الصمت):

قلعتُ شجيرة الإزهار
ونمتُ على رصيفِ الشارع الممتدْ
بين الحمزةِ الخضراءَ والصنكر (البصري،١٩٧٢، ص١٣)

في هذا المقطع نجد جمالية البوح تكمن في فعل الشاعر تجاه (شجيرة الأزهار) وهو (القلع) لها بما تمثله في نفسه من الأيام السعيدة القليلة في عمره، فهي شجيرة أزهار وليست شجرة أزهار وهناك نظرة أخرى في هذا التعبير الجميل وهي ما تحمله الإزهار من دلالة على فترة حياتها المتمثلة في ((قصر موسمها الذي تعيش فيه بسبب العوارض القاسية التي تمر بها))(القيسي،١٩٨٤، ص٩٢)، فقد كنى الشاعر عن قصر أيامه السعيدة بـ (شجيرة الأزهار) فلم يكتف بتصغير الشجرة حتى أضاف إليها الأزهار وفي ذلك دلالة قوية على قصر هذه الأيام التي على قلتها تخلى عنها، بل قلعها وفي ذلك إشارة واضحة على واقعهِ المرير وحياتهِ المتقلبة، ثم ينام على رصيف الشارع بحزنه ومعاناته، فالشارع يحمل دلالة الضوضاء وفقدان الأمن والاستقرار وكأنه شبَّه بيته الذي فرغ من مستلزمات الحياة والأمن بالشارع الذي يتميز بالفراغ منها أيضاً، وذلك لوجه الشبه بينهما المحذوف وهو (الخوف وعدم الأمن والاستقرار) وقد وظَّف هنا ألفاظ الطبيعة الصناعية والطبيعية (الشارع، الرصيف، شجيرة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

الأزهار) وذلك ليفصح عن معاناتهِ وما أصابه من فقر وحرمان خلال أيام شبابه، فالشاعر الذي كان من المفترض أن يزرع شجيرة الأزهار او يدعو إلى ذلك؛ لأنها تثير في نفوس الناس الحبَّ والأملَ وتُخَفِف عنهم معاناتهم نراه يقلع هذهِ الشجيرة وهو أبن البيئة الجنوبية الزراعية، وقد ذهب أكثر من ذلك عندما عبَّر بصيغة الفعل الماضي (قلعتُ ونمتُ) ليؤكد لنا حدوث الأمر وانتهائهِ، وفي ذلك دليل على ثبوت معاناته وقسوة الأيام عليه مما جعله يستذكر ماضيه الجميل السعيد، وربما أراد بذلك ان يشير إلى طفولتهِ التي كانت لم تخل من بعض الأيام الجميلة السعيدة والهادئة التي –على قلتها– في حياته لم تكن كأيامه الأخرى(لقاء مع الشاعر، بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٥)التي ملأتها الأحزان ولفها اليأس وسيطر عليها العذاب والألم.

إما في قصيدته (أيام بلا تاريخ) فأنه وظَّف ألفاظ الطبيعة ليبين مدى عمق معاناته التي رافقته منذ أيام طفولته حيث يقول:

إني ولدتُ والدموعُ في العيون
والعمرُ في العذاب... !
مرَّ على قلبي الشتاء والخريف
لكنما الربيع لم يمرْ (البصري،١٩٧٢، ص٦)

هنا المعاناة متجذرة في أعماق أيامه واضحة جلية، يكشف عنها بلغة رقيقة شفافة، وروح مليئة بالحزن واليأس.

ونلاحظ أن العذاب والدموع لم يفارقاه منذ طفولته، حتى ان الزمن لم يقدم له سوى أيام الشتاء والخريف، وقد جاء الشاعر بهما ليشبه قساوتهما بعذاباته وآلامه، فالشتاء و ما يحمل من دلالات مناخية صعبة كشدة البرد والمطر اللذين يحتاجان إلى الاستعداد لهما قبل وقت حدوثهما، والخريف بما يحمله من دلالة الاصفرار وقلة الخضرة والجفاف، كلها إشارات باح بها الشاعر ليعبر من خلالها عن مدى إحزانه وآلامه التي ربما لم يكن وحده يعاني منها بل المجتمع العراقي في أكثر طبقاته.

لم يمر الربيع بأيامه الجميلة وإزهاره ، ولذلك ظل الشاعر يطلب مجيئه الذي يعني له الحياة والجمال ثم يأخذ الشاعر بالعتب على مدينة البصرة، مدينة الخير والعطاء حين يرى غيره من الناس يحيون الحياة الهانئة السعيدة كأنها أيام الربيع، بينما لم تجد عليه هذه المدينة الا بالمعاناة والألم و القساوة كأيام الشتاء، والضعف وخيبة الأمل والموت الروحي كأيام الخريف، ولعل استعمال الشاعر للأفعال (ولدت، مر، عرفت) تدل على عمق هذه المعاناة وتجذرها في نفسهِ.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/ ١٤٤٦هـ

أفكاره:

ابو تمام والمتنبي وابن الرومي من الشعراءُ العرب القدامى الذين أثاروا مسائل وقضايا فكرية عبرت عن مواقفهم من الحياة، وجاء بعدهم في العصر الحديث شعراء المهجر فتأملوا هذه القضايا التي أصبحت ظاهرة بارزة في شعرهم(الحمداني،١٩٨٧، ص٢١٧).

إما شاعرنا –وهو احد الشعراء المحدثين في العراق– فقد وجدناه واقفاً إمام العديد من هذهِ القضايا التي مرَّت به متأملاً فيها بفكره ومشاعره وأحاسيسه، فأضفى عليها طابعاً مختلف الألوان فمرة نراه يقف وقفة تأملٍ بلونٍ حزين وهو يُصَوِّر قضية موت الإنسان حينما يرحل في نهاية مطافهِ من الدنيا إلى بيتهِ الأخير وهو القبر، وهو وسط هذا الجو المليء بالحزن يستعمل بعضاً من ألفاظ الطبيعة الصامتة بكل ما تحويه من معانٍ ورموز توحي بهذا المصير المحتوم، فهو يقول في قصيدته (رحيل):

يمضي الإنسانُ
لو سكن القلبُ
إلى أصغر بيت
يسكن فيه وحيداً
يتأنَّق في الصمتِ(البصري،٢٠٠٧، ص٣٠)

الحياة والموت من أبرز مضامين القصيدة، تلك الفكرة قائمة على الجدلية المستمرة باستمرار البشرية. فأن الصيغة الصرفية (فعيل) تدل على الحركة والانتقال.

إن مضمون القصيدة معبراً عن الموت وقد وقف الشاعر بين دلالة العنوان ، وقد كنَّى عن الموت بسكون دقات القلب ولعل في قوله (أصغر بيت) يدلُ بها على القبر، إذ جعل الميت متأنقاً في صمته حال موتهِ هو صفة ملازمة له، فالصمت والسكون وهما علامتان فارقتان بين الحياة والموت، وهي التأنق الذي يضفي على الميت الهيبة والرهبة في الوقت نفسه فتجعلانه محطَّ أنظار الأحياء من حوله وفي هذا كله عبَّر الشاعر عن هذه الفكرة بواسطة لفظة (البيت) الذي هو من ألفاظ الطبيعة إذ صرفه عن معناه الأصلي ودلالتهِ المكتنزة بالأمن والاستقرار في الدنيا إلى دلالة أخرى وهي القبر، و ما تحمله من دلالة الظلمة والوحدة والخوف والرعب أحيانا، فهو إذن يستثمر ألفاظ الطبيعة ويبرز فكرته عن الموت بصورة موحية.

أما المضامين الشعرية الاجتماعية التي وظفها الشاعر لأبراز الطبيعة بأجمل معانيها الشعرية هي:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

الرثاء:

إن حامد البصري في العديد من قصائده الرثائية يلجأ إلى ألفاظ الطبيعة ليعبَّر من خلالها عما يختلج في نفسه من المعاني والمشاعر والأحاسيس الحزينة الصادقة، ومن ذلك قوله في قصيدته التي بعنوان (دعوة متأخرة) التي قالها في رثاء الشاعر (بدر شاكر السياب):

يا سيدي

ربيعنا يشدو إلى هواك لو تعود

فهل تعود...؟؟

أمد للعمرِ خيوطاً نحو درب الشمس والكواكب

نعانق الآه

في قلبك الحزين(البصري،١٩٨١، ص١٨)

إن الشاعر هنا نادى إلى الراحل (السياب) وقد أضفت هذه المناداة على النصّ جمالية في العبارات عبر معناها الذي يعطي بُعد المسافات المكانية، التي غالباً ما يستعمل حرف النداء (يا) للدلالة عليها ثم جاء بها مقرونة بأسلوب التمني الذي هو طلب حصول شيء محبوب، شرط ان يكون مستحيلاً، أو ممكناً لا يتوقع حصوله (طبانة،١٩٧٧، ص٨٥٧-٨٥٨) عن طريق لفظة (ربيعنا) لأنه عارف بأن الفقيد (السياب) لن يعود ولكن الشاعر متمسك بخيوط من ذكرياته نحو دربه الذي قرنه بلفظتي (الشمس و الكواكب) لذا فهو يشبه السياب بالشمس التي تعطي الضياء ومعاني الحياة فهو يعطي الناس الحياة عبر فكرهِ وإبداعهِ والشاعر في كل هذا يوظف ألفاظ الطبيعة ويستمد قوة معانيه منها.

مجلة العلوم الاساسية
مجلة العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

الموروث الشعبي:

ومن هذه الشخصيات الشعبية المعروفة شخصية (بلجيك أبو محمد) ((وهي إحدى الشخصيات التي تميزت بالضرافة والبساطة وحبَّ الناس))(لقاء مع الشاعر بتاريخ ٢٠١١/١/١٥). فهو يقول عنها في قصيدته (رجلان من البصرة):

مرةٌ

ينتمي للحشائشِ

قامتُهُ زهرةٌ

وخيوط ضياء

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

تشمُّ ضمير الرياح(البصري،١٩٨١، ص٤٨)

إن شخصية ابو الخصيب هذه الشخصية الشعبية أثارت مشاعر شاعرنا وأحاسيسه التي احتضنها فأخذ يذكرها في هذه القصيدة ليوثق من خلالها الحركة الثقافية في محافظة البصرة، للحفاظ على موروثها الشعبي وهو من خلال ذلك يوظف ألفاظ الطبيعة في قوله (ينتمي للحشائش) الذي يشير إلى انتمائه إلى أبي الخصيب هذهِ الأرض الزراعية الجميلة، وقوله (قامته زهرة) دلالة على بروزه بين الناس؛ لأن الزهرة تتميز بين النباتات بشكلها وقامتها الجميلة والميالة دائما.

شعر الطفولة:

نجد أن الشاعر في شعره الموجه إلى الأطفال وظَّف الكثير من ألفاظ الطبيعة ، لما لهذه الألفاظ من تأثير في نفوسهم وقربٍ من مشاعرهم وأحاسيسهم فنراه يكثر من ذكر هذهِ الألفاظ التي منها: (العصفور، الأشجار، الأوراق، النهر، البيت، ... وغيرها)، ومن ذلك قصيدته (بصرتنا الجميلة) التي يقول فيها:

بصرتنا

بهية مشرقةُ الألوان

دروبها روحٌ وريحان

انهارُها

في كل قلبٍ عانقت بستان(البصري،١٩٩٥، ص١١)

الشاعر هنا يصف حال البصرة البهية المشرقة بالألوان الجميلة، بأشجارها وأنهارها التي عانقتها قلوب الناس الذين تعلقوا بها.

نرى أن الشاعر البصري يستثمر ألفاظ الطبيعة ليؤكد من خلالها على أهمية هذه المحافظة المعطاء محاولاً غرس حبِها في نفوس الصغار لأنَّ ((الصلة الطفولية بشيء.. تبقى فاعلة بالنفس مع الكبر))(جبرا،١٩٨٥، ص٣٥٥).

إما قصيدته (أغنية عصفور) التي يقول فيها:

فوقَ الشبَّاك

وَقَف العصفورْ

مبتهجاً مسرور

وغنى في فرحتهِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

للوطن المنصورْ

يا وطني أهواكْ

ليس لنا غير هواكْ(البصري،١٩٩٥، ص٢١)

إن لفظتي (الشباك، والعصفور) وظفها الشاعر البصري ليرمز من خلال العصفور للطفل الذي يغني لوطنه في حالةٍ من الفرح والسرور، ومن اجل إضفاء نوع من الجمال على النص جعل هذا العصفور يقف على الشباك مُريداً بهذه اللفظة بداية المستقبل الذي ينتظر هذا الطفل.

عند حديث الشاعر للأطفال يستعمل ألفاظ الطبيعة المستوحاة من البيئة الجنوبية القريبة من نفسه ونفوسهم على حدٍ سواء بصورة جميلة تبعث البهجة والسرور عندهم.

ثانياً: أنسنة الطبيعة:

نلحظ في شعر الطبيعة عند الشاعر أن الأنسنة ظاهرة بارزة ، قد طال بها كل الموجودات الطبيعية بشتى أنواعها، والأنسنة هي ((من أروع القيم الجمالية في الفن]فهي[رؤية فنيَّة فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقية ولا تشابه الإحداث الواقعية، يضفي فيها الفنان صفات إنسانية محدَّدة على الأمكنة والحيوانات، والطيور، والأشياء وظواهر الطبيعة، حيث يشكلها تشكيلاً إنسانياً كأي إنسان تتحرك وتحسَّ وتُعبَّر وتتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أُنسِنت من اجله))(أحمد،٢٠٠٩،ص٩).

فمرة نجد (النخلة) عنده رمزاً مؤنساً لمحافظة البصرة تشاركه همومه ومشاعره وتخاطبه فيستمع اليها وتطلب منه الاقتراب منها روحياً ومكانياً إلى حد الاتحاد معها، وذلك عن طريق قولها له في قصيدته (ما قالته النخلة للولد):

إرتديني

أجيء إليكَ

محملةً بالطعام، الهوى(البصري،١٩٨١، ص٣٠)

الخير والسعادة والعطاء دلالات ترمز اليها النخلة، فقولها له ((أجيء إليكَ محمَّلةً بالطعام، الهوى)) يحمل دلالتين الأولى: مادية وهي (حمل الطعام)، لأن الطعام يختص بمتطلبات الجسد ومتعلقاتهِ، والثانية (روحية) وهي (الهوى) وهو هنا رمز للحُبَّ والمودة، وهذه كلها من متطلبات وجود الشاعر ومعيشته في محافظته ففي هذه العبارة أسقط الشاعر الأدوار التي تقوم بها محافظة البصرة القريبة من روحه تجاهه على عاتق النخلة المؤنسنة. مما جعله يوضح في هذا المقطع شدة احتياجه المادي والروحي لها.

مجلة العلوم الاساسية
علوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

ويكرر بعدها طلبه منها عن طريق فعل الأمر (ارتديني) في قوله:

إرتديني
قميصاً
لا سكن فيك
وتستلُ روحي إليك(البصري،١٩٨١، ص٣١)

وتكون أكثر عمقاً للخير والسعادة والعطاء وقرباً إلى نفسهِ كرجل مفعم بالأحاسيس والمشاعر تجاه محافظته، و ما يكنُّهُ صَدرُهُ لها من احترام وتقدير وحبَّ يجعلانه شديد الارتباط بها حتى يكون اتحاده معها كالقميص الذي يرتديه الإنسان فيكون معه قطعةً واحدة لشدة القرب بينهما دون مسافاتٍ فاصلةٍ قصيرة كانت ام طويلة فاتحاد الشاعر هنا مع النخلة يكون ذا مضمارين (روحي و جسدي) يجسدان أحلى وأبهى علاقة اتحاد ممكن لها ان تكون بين الإنسان والأرض التي ولد و ترعرع فيها إلى هذا اليوم، فعلاقته هنا مع النخلة علاقة ودَّية تجسد الحب والمودة عبر لسان حال النخلة وتعبيراتها له بهذا المطلب عبر تكرار فعل الأمر (ارتديني) في هذه القصيدة، فالبصرة عنده جزء لا يتجزأ من كيانه الخاص، حتى أصبح يراها واحدة من أكثر موجودات الطبيعة جمالاً وعطاءً ألا وهي النخلة.

وفي قصيدته التي بعنوان (بوح النجوم) حيث يقول:

في عراء السكون
رفعت رأسها نجمة
فاستدار القمر..!
... ...
جهرةً
قالت النجمة العالية
لي فؤاد يغني
يحبُ القمر(البصري،٢٠٠٤، ص١٦)

الشاعرُ هنا انسن النجمة والقمر وأضاف إليهما بعض الصفات الإنسانية كالكلام والمشاعر والوعي والحُب، فالنجمة هنا تماثل الحبيبة ولكن أية حبيبة أنها الحبيبة العالية الشأن والمنزلة في قلب حبيبها، إن هذه النجمة (الحبيبة) تغني بحب القمر، أما القمر (الحبيب) فقد استدار صاغياً لحبيبته وغنائها، فالشاعر يرسم لنا مشهداً رومانسياً بطلاه النجمة والقمر، ولعل هروبه من الواقع الذي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

يعيشه، هذا الواقع الذي تغلب عليهِ المحافظة ومحاسبة المختلطين، هو الذي جعله يُعبَّر عن مشاعره بصورة تبتعد عن هذا الواقع ليجد له متنفساً من ضيق الواقع وشدته عليه، لذلك لجأ إلى موجودات الطبيعة ليلقي عليها مشاعره وعواطفه فإذا هي شاخصة عاشقة تبوح عما في نفسها لحبيبها.

فقد تناول قضية مهمة في قصيدته (شقاء) وهي قضية المثقَّف في زمن لا يهتم بالمثقفين ويحاول كل فرد فيه أن يجد حياته الضائعة بين ركام الغبار خاصة وأن العراق قد خرج تواً من حرب جرَّت عليه الويلات فالشاعر يحس بالشقاء والعذاب، لذلك عبر عن نفسه وعن المثقفين من أمثاله بالشجرة حيث يقول:

ما أشقى الأشجار
تكنس للناس غبار الدنيا
تكتمُ غيض الريح بمعطفها
ليل نهار(البصري،٢٠٠٠، ص٢٢-٢٣)

فهو هنا يضفي على الأشجار الصفات الإنسانية (بأنها تكنس للناس غبار الدنيا) هذه الأشجار الشقية (المبدعون) يحاولون جاهدين ان يجعلوا الحياة جميلة نقية من كل شائبة، فإذا كانت الأشجار الحقيقية تتصدى للغبار الذي يملأ الفضاء وتجعله نظيفاً يزيد النفوس بهجة وراحة، فأن المثقفين سواءً كانوا شعراء أم أدباء ينقُّون هذه العقول من الشوائب والجهل ليزرعوا بدلها الفكر والإبداع، وإذا كانت الأشجار تكتم غيض الريح بأوراقها وفروعها، فأنَّ المثقف يكظم الغيض من تجاهل الغير له ويصرُّ على الإبداع.

لقد هرب الشاعر من الحياة البائسة المليئة بالمضايقات إلى الأشجار والطبيعة بكافة انواعها لأنها عنده تحسُّ وتعي وتتفاعل وتشارك الشاعر همومه ورحابتها ليجد له المتنفس الذي افتقده في الحياة.

الخاتمة:

من النتائج المهمة التي توصلت اليها في نهاية بحثي هذا حول جمالية الطبيعة في شعر حامد البصري منها:

١. إن شعر الطبيعة في فجره عند العرب كان صورةً لما تراه العين، أكثر من كونه مشاركةً للعواطف التي توحي بها الطبيعة.

٢. تأثر حامد البصري بالعديد من الشعراء القدامى والمحدثين مثل: عمر بن ابي ربيعة والمتنبي وابن زيدون وابن الرومي... وغيرهم.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

٣. إن الشاعر من اجل إبراز فكرته في الحب اعتمد على الطبيعة بشكل واضح وكبير، ولعل تأثره بطبيعة ابي الخصيب الزراعية الجميلة هي التي جعلته يركز على الطبيعة بترابها وزيتها وسنابلها.

٤. إن الشاعر البصري يستثمر ألفاظ الطبيعة ليؤكد من خلالها على أهمية هذه المحافظة المعطاء محاولاً غرس حبِها في نفوس الصغار لذلك كان الشعر الموجه للأطفال يمتاز بالبساطة والرقة.

٥. من الميزات التي تبدو واضحةً فيه كثرة الحس الوطني في قصائده والانتماء للوطن .

٦. إن الأنسنة عن الشاعر ظاهرة وبارزة و من أروع القيم الجمالية التي يضفي فيها الفنان صفات إنسانية محدَّدة على الأمكنة والحيوانات، والطيور، والأشياء وظواهر الطبيعة، حيث يشكلها تشكيلاً إنسانياً كأي إنسان تتحرك وتحسَّ وتُعبَّر وتتعاطف.

٧. تنوع الألفاظ الشعرية في قصائده ما بين ألفاظ الطبيعة، التي تحتل مركز الصدارة ثم تليها ألفاظ الحب والحزن والألفاظ التراثية.

٨. لقد هرب الشاعر من الحياة البائسة المليئة بالمضايقات إلى الأشجار والطبيعة بكافة انواعها لأنها عنده تحسُّ وتعي وتتفاعل وتشارك الشاعر همومه ورحابتها ليجد له المتنفس الذي افتقده في الحياة.

المصادر

١.إبراهيم، تحقيق: محمد ابو الفضل، ديوان النابغة الذبياني، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م.

٢.ابن زيدون، لأبي الوليد احمد بن عبد الله، ديوان ابن زيدون، (٣٩٤-٤٦٣) هـ ومعه رسائله واخباره، شرح وتحقيق: محمد سعيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٥م.

٣.أحمد، الدكتور مرشد ، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٤.الأهواني، الدكتور عبدالعزيز ، إبن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٥.البصري، حامد عبدالصمد، أوراق الربيع، مطبعة حدَّاد – البصرة، ١٩٧٠.م.

٦.البصري، حامد عبدالصمد، تراتيل الأيام المنسيَّة، دار الشؤون الثقافية – بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٧.البصري، حامد عبدالصمد، عندما تسافر الأحلام، مطبعة حداد – البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

٨.البصري، حامد عبدالصمد، لا شي سوى.. اللون الأبيض، مطبعة القبة الفلكية – البصرة، ٢٠٠٤م.

٩.البصري، حامد عبدالصمد، ما قالته النخلة للولد، المركز الثقافي – جامعة البصرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١٠.البصري، حامد عبدالصمد، مرحباً يا عراق، دار الحرية– بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١١.جبرا، جبرا إبراهيم، الفن والحلم والفعل، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

١٢.الحمداني، الدكتور سالم احمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، والدكتور فائق مصطفى احمد – جامعة الموصل، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٣.طبانة، الدكتور بدوي، معجم البلاغة العربية، جامعة طرابلس، الطبعة الأولى –١٩٧٧م.

١٤.القيسي، الدكتور نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب – مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

Sources

15. Ibrahim, edited by: Muhammad Abu al-Fadl, Diwan al-Nabigha al-Dhubyani, Dar al-Maaref - Cairo, third edition, 1990 AD.

16. Ibn Zaydun, by Abu Al-Walid Ahmad bin Abdullah, Diwan Ibn Zaydun, (394-463) AH and his letters and reports, explanation and verification: Muhammad Saeed Kilani, Al-Babi Al-Halabi Press - Cairo, third edition, 1965 AD.

17. Ahmed, Dr. Murshid, Humanizing Place in the Novels of Abdul Rahman Munif, Dar Al-Takween - Damascus, first edition, 2009 AD.

18. Al-Ahwani, Dr. Abdul Aziz, Ibn Sana al-Malik and the problem of sterility and innovation in poetry, House of General Cultural Affairs - Baghdad, second edition, 1986 AD.

19. Al-Basri, Hamid Abdel Samad, Spring Leaves, Haddad Press - Basra, 1970 AD.

20. Al-Basri, Hamid Abdel Samad, Hymns of Forgotten Days, House of Cultural Affairs - Baghdad, first edition, 2000 AD.

21. Al-Basri, Hamid Abdel Samad, When Dreams Travel, Haddad Press - Basra, first edition, 1972 AD.

22.Al-Basri, Hamid Abdel Samad, Nothing But.. The White Color, Planetarium Dome Press - Basra, 2004 AD.

23.Al-Basri, Hamid Abdel Samad, What the Palm Tree Said to the Boy, Cultural Center - University of Basra, first edition, 1981 AD.

24. Al-Basri, Hamid Abdel Samad, Hello Iraq, Freedom House - Baghdad, first edition, 1995 AD.

25. Jabra, Jabra Ibrahim, Art, Dream and Action, House of General Cultural Affairs - Baghdad, first edition, 1985 AD.

26. Al-Hamdani, Dr. Salem Ahmed, Modern Arabic Literature: A Study of Its Poetry and Prose, by Dr. Faiq Mustafa Ahmed - University of Mosul, first edition 1987 AD.

27.Tabana, Dr. Badawi, Dictionary of Arabic Rhetoric, University of Tripoli, first edition - 1977 AD.

28.Al-Qaisi, Dr. Nouri Hamoudi, Nature in Pre-Islamic Poetry, The World of Books - Al-Nahda Modern Library, second edition, 1984 AD.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثالث والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية